



مجلة القنطار للعلوم الإنسانية والتطبيقية
سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن



المنهج التربوي في القرآن الكريم
عوني بكيري بن رمضان بن مصطفى
باحث في برنامج الماجستير - جامعة منيسوتا

تاريخ التقديم 2025/8/29 - تاريخ القبول 2025/9/25 - تاريخ النشر 2025/9/30

الملخص: يهدف هذا البحث إلى استجلاء معالم المنهج التربوي القرآني في بناء الفرد والمجتمع، متخذًا من سورة الكهف أنموذجًا تطبيقيًا متكاملًا. وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في تتبع الآيات ذات الصلة، والمنهج التحليلي في تفسيرها ضمن سياقها، والمنهج الاستنباطي في استخلاص القواعد والقيم التربوية. وقد توصل البحث إلى أن سورة الكهف تقدم وحدة تربوية متكاملة، لا مجرد قصص متفرقة، حيث تقدم منهجًا لبناء شخصية الفرد المسلم في أبعادها العقدية والتعبدية والخلقية، كما تقدم نماذج عملية في تربية المجتمع على أسس الهوية الإيمانية، والقيادة الصالحة، والتكافل، وفقه الموازنات. وتؤكد الدراسة على العلاقة العضوية بين صلاح الفرد وصلاح المجتمع، وتبرز سورة الكهف كخارطة طريق قرآنية للعصمة من الفتن على المستويين الفردي والجماعي.

الكلمات المفتاحية: التربية القرآنية، سورة الكهف، منهج تربوي، بناء الفرد، بناء المجتمع، القصص القرآني.

Abstract: This research aims to elucidate the features of the Quranic educational methodology for building the individual and society, taking Surah Al-Kahf as an integrated applied model. The study employed the inductive method to trace relevant verses, the analytical method to interpret them within their context, and the deductive method to extract educational rules and values. The research concluded that Surah Al-Kahf presents an integrated educational unit, not merely separate stories, as it offers a methodology for building the Muslim individual's personality in its creedal, devotional, and moral dimensions. It also provides practical models for educating society on the foundations of faith-based identity, righteous leadership, social solidarity, and the jurisprudence of balancing priorities. The study emphasizes the organic relationship between the righteousness of the individual and the righteousness of society, highlighting Surah Al-Kahf as a Quranic roadmap for protection from tribulations (fitan) at both individual and collective levels.

Keywords: Quranic Education, Surah Al-Kahf, Educational Methodology, Individual Development, Societal Building, Quranic Stories.

مقدمة

إن القرآن الكريم، بصفته الرسالة الخاتمة والمهيمنة على ما قبلها من الكتب، ليس مجرد كتاب يُتلى للبركة أو يُستشفى به من الأسقام فحسب، بل هو في جوهره دستور شامل ومنهج حياة متكامل، أنزل ليكون "هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان". وفي قلب هذه الهداية، تكمن وظيفته التربوية العظمى التي تهدف إلى صياغة الإنسان وبناء الأمة، فالتربية ليست مقصدًا ثانويًا أو هامشيًا في القرآن، بل هي روحه السارية في كل آياته، وغايته التي تتجلى في كل أحكامه وتشريعاته وقصصه وأمثاله. لقد "حظي القرآن الكريم بعناية كبرى من قبل العلماء لما له من أهمية في حياة المسلم. فهو يعتبر المعلم

سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن، 6(9)، 19-1

والمربي الأول للمسلم"⁽¹⁾، وهذا الدور لا يقتصر على زمان دون زمان، بل هو ممتد وقادر على مخاطبة الإنسان في كل عصر، وتقديم الحلول لمشكلاته الوجودية والسلوكية.

وفي عصرنا الحاضر، الذي يشهد انفجاراً في النظريات التربوية وتضارباً في الفلسفات التعليمية، تجد المجتمعات الإسلامية نفسها في خضم تحديات حضارية كبرى. فمع "انتشار النظريات والاتجاهات التربوية الغربية المتعددة ورواجها في الساحة العربية والإسلامية"⁽²⁾، نشأ نوع من الاغتراب عن الذات، وتهافت على نماذج تربوية مستوردة أثبتت في كثير من الأحيان عجزها عن بناء الإنسان السوي والمتوازن، لأنها غالباً ما تنطلق من رؤية مادية قاصرة، تهمل الجانب الروحي والأخلاقي، أو تقدم تصورات مجتزأة عن الطبيعة الإنسانية. وهذا ما أدى إلى "حالة من التوهان في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية"⁽³⁾، وأوجد أجيالاً تعاني من فراغ روحي واضطراب قيمي. من هنا، لا تعود العودة إلى المنهج التربوي القرآني مجرد خيار من بين خيارات متعددة، بل تصبح ضرورة ملحة وحاجة استراتيجية لإعادة بناء الذات الحضارية للأمة، واستعادة زمام المبادرة في صياغة أجيالها.

إن هذا الفصل لا يسعى فقط إلى إثبات أن للقرآن اهتماماً بالجانب التربوي، فهذه حقيقة بديهية، بل يهدف إلى ما هو أعمق من ذلك؛ وهو الكشف عن طبيعة هذا الاهتمام وتجلياته في صورة "منهج" متكامل. فالقرآن لا يقدم مجرد نصائح ومواعظ متفرقة، بل يقدم منهجاً له أصوله الراسخة، وخصائصه الفريدة، وأساليبه المتنوعة، وأهدافه الواضحة. إنه "منهج رباني يعتمد على أسس وخصائص وأساليب ربانية، يمكن بواسطته بناء الأمة بناءً راسخاً قوياً"⁽⁴⁾. وفهم هذا المنهج بأبعاده المختلفة هو الخطوة الأولى والضرورية قبل الشروع في أي تطبيق عملي له. فقبل أن نغوص في أعماق سورة الكهف كنموذج تطبيقي في الفصول اللاحقة، لا بد لنا من أن نؤسس إطاراً نظرياً واضحاً يحدد معالم هذا المنهج القرآني العام، ويوضح طبيعته ومكوناته.

وعلى هذا الأساس، سينطلق هذا الفصل في رحلة استكشافية للكشف عن هذه المعالم، وذلك من خلال ثلاثة مباحث رئيسية متدرجة. فالمبحث الأول سيخصص لدراسة "خصائص وسمات المنهج التربوي في القرآن"، فهو المدخل الذي لا بد منه لفهم طبيعة هذا المنهج وتفردته. سيتناول هذا المبحث خاصية "الكمال" التي تجعله مكتفياً بذاته، وخاصية "الربانية" التي تمنحه العصمة والخلود، وخاصية "الشمولية" التي تجعله قادراً على مخاطبة كل جوانب الإنسان والحياة، وأخيراً، سيتناول حقيقة "افتقار البشر" لهذا المنهج كضرورة وجودية وحضارية. إن إدراك هذه الخصائص هو الذي يمنحنا الثقة في

1 - قاسمي، مفتاح. (2022). الخصائص التربوية في القرآن الكريم من خلال تفسير ابن عاشور. مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 11(2)، ص. 8.

2 - القهوجي، بشار. (2016). المنهج القرآني في استخدام الأساليب التربوية. مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، (3)، ص. 10.

3 - العظامات، خديجة خير الله عبد الرحمن. (2022). التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقاتها في الأسرة والمجتمع. ص. 3.

4 - جمعة، عبد الله محمد علي. (2021). من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم. مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية،

صلاحية هذا المنهج وقدرته على القيادة.

ثم ينتقل البحث في المبحث الثاني إلى مستوى أعمق من التحليل، وهو دراسة "أوجه إعجاز المنهج التربوي القرآني". فالمنهج القرآني ليس مجرد منهج صالح وفعال، بل هو منهج معجز، يتجلى إعجازه ليس فقط في نتائجه، بل في بنيته وأساليبه. سيتناول هذا المبحث الإعجاز "البياني" في أساليبه التربوية، وكيف يوظف القرآن اللغة والقصة والمثل بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب والعقول معاً، وهو ما "يستنهض فهم نوازع الخير"⁽⁵⁾ بأسلوب لا يضاهي. كما سيتناول الإعجاز "التشريعي" في كيفية بنائه للأحكام على أسس تربوية متينة كالترجى والوقاية. وأخيراً، سيتناول الإعجاز في قدرته الفريدة على "الجمع بين النظرية والتطبيق"، من خلال ربط الإيمان بالعمل، وتقديم القدوة الحسنة، وجعل العبادات مدرسة لتهديب السلوك، وهي قضية "تتطلب منا أن نترجم الفكرة إلى عمل بناء وخلق فاضل"⁽⁶⁾، وقد قدم القرآن فيها النموذج الأمثل.

وبعد تحديد خصائص المنهج وإثبات إعجازه، يأتي المبحث الثالث ليوضح "مستوى المنهج التربوي القرآني بين الفرد والمجتمع". فهذا المبحث يمثل الجسر الذي يربط بين الإطار النظري العام وبين الفصول التطبيقية التالية. سيعمل هذا المبحث على تفكيك المنهج إلى مستوييه الأساسيين: مستوى تربية "الفرد" باعتباره اللبنة الأساسية التي تبدأ منها عملية الإصلاح، ومستوى تربية "المجتمع" باعتباره الغاية النهائية التي يتجلى فيها أثر التربية. ففهم هذه العلاقة الجدلية والتكاملية بين الفرد والمجتمع هو مفتاح فهم الفلسفة التربوية للقرآن. إن هذا التقسيم المنهجي سميئنا للانتقال في الفصول القادمة إلى سورة الكهف، لنرى كيف تتجلى هذه المستويات (الفردية والجماعية) عملياً من خلال قصصها وتوجيهاتها. إن هذا الفصل، بمباحثه الثلاثة، يهدف إلى بناء قاعدة نظرية صلبة، لا غنى عنها لأي باحث يسعى لاستلهام المنهج التربوي من كتاب الله. فهو محاولة جادة للانتقال من الانبهار العام بالتربية القرآنية إلى الفهم المنهجي العميق لأسسها وخصائصها وآلياتها، ليكون ذلك منطلقاً واعياً ومؤصلاً لدراستنا التطبيقية في سورة الكهف

وقسم الدراسة الى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

خصائص وسمات المنهج التربوي في القرآن. وفيه أربعة مطالب:

يتميز المنهج التربوي القرآني عن غيره من المناهج التربوية البشرية بمجموعة من الخصائص الجوهرية التي تمنحه التفرد والتأثير والقدرة على بناء شخصية إنسانية سوية ومتوازنة. هذه الخصائص ليست مجرد صفات نظرية، بل هي ركائز

5 - العلي، عدنان بن عبد الرزاق الحموي. (2018). الأساليب التربوية في القرآن الكريم. مجلة أكاديمية العلوم، ص. 1.

6 - القهوجي، المنهج القرآني في استخدام الأساليب التربوية، ص. 14.

سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن، 6(9)، 1-19

أساسية تتجلى في كل توجهاته وتشريعاته، وتضمن فاعليته واستمراريته. وفي المطالب التالية، سيتم استعراض أبرز هذه الخصائص.

المطلب الأول: كمال المنهج التربوي القرآني

إن أول وأبرز خصيصة للمنهج التربوي القرآني، والتي تميزه عن سائر المناهج الوضعية، هي "الكمال". فهو منهج تام لا نقص فيه، وكامل لا يحتاج إلى إضافة أو استدراك من أي مصدر بشري. ينبع هذا الكمال من مصدره الإلهي، فإله تعالى الذي خلق الإنسان هو الأعلّم بما يصلحه وما يفسده، وهو القائل: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14]. وقد أنزل هذا القرآن ليكون دستوراً كاملاً وشاملاً لحياة الإنسان في كل جوانبها. وقد أعلن القرآن صراحة عن هذا الكمال في قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]. فهذا الدين الذي اكتمل، اكتمل معه منهجه التربوي في جميع جوانبه العقدية والتعبدية والأخلاقية والتشريعية، فلا يترك شيئاً مما يحتاجه الإنسان في صالح دينه ودنياه إلا وبينه له" (7).

ويتجلى هذا الكمال في أن القرآن الكريم لم يغفل جانباً من جوانب التربية التي يحتاجها الإنسان، قال تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 38]. فهو يربي الفرد على علاقته بربه (الجانب الروحي)، وعلاقته بنفسه (الجانب النفسي)، وعلاقته بأسرته ومجتمعه (الجانب الاجتماعي)، وعلاقته بالكون من حوله (الجانب المعرفي والبيئي). وهذا ما يتجلى بوضوح في منهج "تفسير القرآن بالقرآن"، الذي يثبت أن آيات الكتاب العزيز يفسر بعضها بعضاً، وهو المنهج الذي برع فيه الإمام الشنقيطي في تفسيره "أضواء البيان" (8). وكما يؤكد الباحثون، فإن "القرآن الكريم ليس كغيره من الرسائل السماوية التي طالتها التحريفات والتغييرات، وإنما حافظ على تركيبته الأصلية التي نزل بها وهي الكمال ومعنى ذلك أنه ليس بحاجة إلى غيره ليثبت ما فيه فهو كامل متكامل في ذاته" (9).

7 - العظامات، خديجة خير الله عبد الرحمن. (2022). *التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقاتها في الأسرة والمجتمع*. ص. 11.

8 - يُعد تفسير "أضواء البيان" للإمام الشنقيطي من أبرز التفاسير المعاصرة التي اعتمدت بشكل أساسي على قاعدة تفسير القرآن بالقرآن، حيث يوضح كيف أن الآية المجملة في موضع تُفصّل في موضع آخر، مما يدل على كمال بيانه واكتفائه الذاتي. انظر على سبيل المثال: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. (2019م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. ط5، الرياض: دار عطاءات العلم، ج3، ص 255، عند تفسيره لآيات الفتن في سورة الكهف وكيفية بيانه لها بآيات أخرى من القرآن الكريم.

9 - قاسمي، مفتاح. (2022). "الخصائص التربوية في القرآن الكريم من خلال تفسير ابن عاشور". مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 11(2)، ص. 18.

وهذا الكمال يمنح المنهج القرآني صفة الاكتفاء الذاتي، ويجعل المسلم في غنى عن استيراد المناهج التربوية الوضعية التي "قد يعثرها النقص والخطأ والنسيان والتعصُّب"⁽¹⁰⁾، لأنها نابعة من فكر إنساني محدود.

إن "المنهج القرآني لا يقف حجر عثرة في سبيل تقدُّم البشرية وازدهارها، كما هو حال الديانات الوضعية والرسالات المحرَّفة، بل يحث على الاجتهاد ويضع له معايير"⁽¹¹⁾. وهذا الكمال لا يعني الجمود، بل هو كمال مرِن يتسع لمستجدات الحياة، فأصوله ثابتة وفروعه تتسع للاجتهاد والتطبيق بما يناسب كل عصر. وهذا هو سر صلاحيته لكل زمان ومكان، وقدرته على "بناء أفراد صالحين منتجين داخل المجتمع"⁽¹²⁾، لأنه يقدم لهم منهج حياة متكامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المطلب الثاني: ربانية المنهج التربوي القرآني

تُعد خاصية الربانية السمة الجوهرية التي تنبثق منها جميع الخصائص الأخرى. فالمنهج التربوي القرآني هو منهج رباني المصدر، ورباني الغاية والوجهة. فالتربية الإسلامية هي تربية ربانية تستمد أهدافها ومبادئها من كتاب الله وسنة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام⁽¹³⁾.

أما كونه رباني المصدر، فيعني أنه من عند الله تعالى، وليس من وضع البشر. يقول سبحانه: {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الحاقة: 43]، ويقول أيضاً: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 42]. وهذه الربانية في المصدر تمنحه العصمة من الخطأ، والتحرر من الهوى، والسمو فوق الزمان والمكان. فالمناهج البشرية تتأثر بأهواء واضعها وقصور علمهم، أما المنهج القرآني فهو تشريع من الخالق الذي يعلم خفايا النفس البشرية وما يصلحها، قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14]. وقد أكد ابن عاشور على أن الإعجاز الذي تضمنه القرآن باختلاف أنواعه (الأسلوبي، واللفظي، والعلمي، والإخبار بالغيبي) هو الدليل القاطع على ربانيته، وأنه ليس من صنع البشر⁽¹⁴⁾.

وأما كونه رباني الغاية، فيعني أن الهدف الأسوى لهذا المنهج هو توجيه الإنسان ليعيش وفق المنهج الذي يريده الله، وتحقيق العبودية الخالصة له، وربط كل جوانب حياته بالله تعالى. فالغاية ليست مجرد إعداد مواطن صالح بالمعنى الدنيوي

10 - جمعة، عبد الله محمد علي. (2021). من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، 20(4)، ص. 67.

11 - الغنيمي، محمد سلامة. (2014). مظاهر الإعجاز في التربية القرآنية موقع طريق الإسلام.

12 - العظامات، التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ص. 3.

13 - العظامات، التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ص. 4.

14 - قاسمي، الخصائص التربوية في القرآن الكريم، ص. 12.

المحدود، بل هي أن تجعل الإنسان موحدًا، يعبد ربًا واحدًا لا شريك له ويعيش وفق القوانين الربانية⁽¹⁵⁾. هذه الغاية السامية هي التي تمنح حياة الفرد والمجتمع معناها وقيمتها الحقيقية، وتضبط بوصلة السلوك الإنساني نحو تحقيق مرضاة الله والفوز في الدارين، كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: 162]. وهذا الهدف هو ما يعمق جذور العلاقات البشرية في كل مكان وزمان⁽¹⁶⁾، لأنه يربطها بغاية تتجاوز المصالح المادية الفانية.

المطلب الثالث: شمولية المنهج التربوي القرآني

تتميز التربية القرآنية بشموليتها التي لا تضاهيها أي تربية وضعية. فهي شاملة في نظرتها للإنسان، وشاملة في تغطيتها لمجالات الحياة، وشاملة في خطابها للبشرية جمعاء. فأما شمولها للإنسان، فهي تخاطب كيانه المتكامل (روح، وعقل، وجسد) دون أن يطغى جانب على آخر. فهي تغذي الروح بالإيمان والعبادة، وتنمي العقل بالعلم والتفكير، وتهذب الجسد بالطهارة والسلوك القويم. وكما يؤكد الباحثون، فإن المنهج التربوي الإسلامي جاء شاملاً لحياة البشر في الدنيا والآخرة، وتناول كيان المسلم الجسدي والروحي، والوجداني والعقلي والنفسي⁽¹⁷⁾.

وأما شمولها لمجالات الحياة، فهي لا تفصل الدين عن الدنيا، بل تقدم منهجًا يربط بينهما في وحدة متكاملة. فهي تنظم علاقة الإنسان بربه (العقائد والعبادات)، وعلاقته بأسرته (الزواج والتربية)، وعلاقته بمجتمعه (المعاملات والأخلاق)، وعلاقته بالدولة (السياسة والحكم)، وعلاقته بالمال (الاقتصاد). وقد أشار ابن عاشور إلى أن القرآن الكريم جامع لكل شيء وخال من النقائص وشامل لكل جوانب الحياة الدنيا والآخرة وأن الهدف الأساسي من هذه الشمولية هو إصلاح أحوال الناس الفردية والجماعية والعمرانية⁽¹⁸⁾، مما يؤكد أن هذا المنهج لا يقتصر على الشعائر التعبدية بل يمتد لينظم كل مناحي الحياة.

وأما شمولها للبشرية، فالقرآن الكريم لم يأت لقوم دون قوم، أو لجنس دون جنس، بل هو رسالة عالمية للبشرية جمعاء. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبا: 28]، وقال أيضاً: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158]. وهذه العالمية تجعل من منهجه التربوي منهجًا إنسانيًا صالحًا لكل البشر في كل زمان ومكان، قادراً على توحيدهم على قيم الحق والعدل والخير.

15 - المرجع السابق، ص. 13.

16 - جمعة، من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم، ص. 68.

17 المرجع السابق، ص. 69.

18 - قاسمي، الخصائص التربوية في القرآن الكريم، ص. 18.

المطلب الرابع: افتقار البشر للمنهج التربوي القرآني

إن الحديث عن كمال وريانية وشمول المنهج القرآني يقودنا إلى حقيقة جوهرية، وهي افتقار البشر وحاجتهم الماسة لهذا المنهج. فالمناهج التربوية الوضعية، على ما قد تحققه من نجاحات جزئية، تظل قاصرة وعاجزة عن تقديم الحل الشامل لمشكلات الإنسان والمجتمع، وذلك لطبيعتها البشرية المحدودة. ومما لا جدال فيه أن ما تعانيه البشرية اليوم من مآزق وويلات، إنما يعود إلى تنكها الجادة في الإصغاء لهذا الهدي السماوي والالتفات إليه (19).

وتتجلى مظاهر هذا الافتقار في عدة جوانب:

- **النقص والقصور:** فالفكر البشري قاصر ومحدود، لا يحيط بكل جوانب النفس الإنسانية المعقدة، مما يجعل المناهج الوضعية تركز على جانب على حساب جوانب أخرى، فتارة تمجد الجسد والمادة، وتارة تغرق في الروحانيات المهملة للحياة. وهذا يؤدي إلى اضطراب الفكر التربوي الغربي في نظريته للإنسان، وتمجيد جانب على جانب آخر (20). وهذا القصور هو ما يجعلها غير قادرة على تحقيق التوازن الذي جاء به القرآن بين متطلبات الروح والجسد، كما في قوله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا } القصص: [77]
- **التناقض والتغير:** لمناهج البشرية متغيرة ومتبدلة، تتأثر بالفلسفات السائدة والظروف السياسية والاقتصادية. فما كان يُعد فضيلة في عصر قد يصبح رذيلة في عصر آخر، وهذا التناقض يوقع الإنسان في حيرة واضطراب. وقد أشار أبو حيان الأندلسي إلى هذا المعنى عند تفسيره لآيات إقامة العدل، مبيناً أن المناهج البشرية كثيراً ما تتأثر بالهوى والمصلحة الآنية، مما يجعلها مضطربة، بخلاف المنهج الإلهي الثابت (21). أما المنهج القرآني فيتميز بالثبات والاستقرار في أصوله وقيمه الكبرى، مع مرونة في فروعه تتسع لمستجدات الحياة.
- **غياب الغاية الكبرى:** غالباً ما تكون غايات المناهج التربوية الوضعية دنيوية بحتة، كإعداد المواطن الصالح لخدمة الدولة، أو الفرد المنتج لخدمة الاقتصاد. أما المنهج القرآني فيربط الإنسان بغاية أسمى وأبقى، وهي عبادة الله وعمارة الأرض وفق شرعه، مما يمنح حياته معنى وقيمة تتجاوز حدود الحياة الدنيا. فكل تربية لا تحمل الرسالة، ولا تصل بالمرء إلى العقيدة الصحيحة، لا تُعد تربية إسلامية مُحَكَّمة (22).

19 - العلي، عدنان بن عبد الرزاق الحموي. (2018). *الأساليب التربوية في القرآن الكريم*. مجلة أكاديمية العلوم، ص.

20 - العظامات، التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ص. 3.

21 - انظر: ابن حيان، أثر الدين الأندلسي. (1420هـ). *البحر المحيط في التفسير*. بيروت: دار الفكر، ج4، ص 493. حيث يشير في تفسير

آية المائدة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ } إلى أن الأمر بالعدل المطلق هو مما تفرد به التشريع الإلهي، بخلاف القوانين الوضعية التي قد تحايي فئة على أخرى

22 - قاسمي، الخصائص التربوية في القرآن الكريم، ص. 12.

المبحث الثاني:

أوجه إعجاز المنهج التربوي القرآني. وفيه ثلاثة مطالب:

إن إعجاز القرآن الكريم لا يقتصر على جانبه البياني والبلاغي الذي تحدى به العرب، ولا على إخباره بالغيوب أو إشارات العلم التي تتكشف مع مرور الزمن، بل يمتد ليشمل جانباً آخر لا يقل أهمية وعمقاً، وهو الإعجاز التربوي. فالقرآن الكريم "ليس كتاب تشريع فحسب؛ بل هو كتاب عظة وإرشاد يسوق آياته بأساليب متباينة لتتقبله النفوس، وتسترشدها وتوجيهاته العقول" (23). وهذا الإعجاز يكمن في قدرة منهجه الفريد على إحداث تغيير جذري وشامل في النفس البشرية، وبناء فرد سوي ومجتمع فاضل، وهو ما عجزت عنه كبريات النظريات التربوية الوضعية. ويتجلى هذا الإعجاز في أوجه متعددة، منها ما يتعلق بأسلوبه البياني، ومنها ما يتعلق بطبيعته التشريعية، ومنها ما يتعلق بقدرته الفذة على المزج بين النظرية والتطبيق.

المطلب الأول: إعجاز المنهج التربوي القرآني بياناً

يبرز الإعجاز البياني في التربية القرآنية من خلال الأساليب الخطابية الفريدة التي يستخدمها القرآن لإيصال رسالته التربوية، بحيث تخاطب العقل والوجدان معاً، وتترك أثراً عميقاً في نفس المتلقي. فالقرآن "يستنهض فيهم نوازع الخير. يدعو لكل فضيلة، وينهى عن كل رذيلة" (24)، ولا يفعل ذلك بأسلوب جاف، بل ببيان معجز يأخذ بمجامع القلوب. ومن أبرز مظاهر هذا الإعجاز البياني في التربية:

الإعجاز في تنوع الأساليب التربوية: لم يقتصر القرآن الكريم على أسلوب واحد في التوجيه، بل نوع في أساليبه لتناسب مختلف النفوس والأحوال والمواقف، وهذا التنوع في حد ذاته وجه من وجوه الإعجاز. فكل أسلوب "ينفذ إلى نفس الإنسان من خال أحد منافذها، مما يؤدي في النهاية إلى الانتفاع بهذه الأساليب كلها" (25). فتارة يستخدم أسلوب الموعظة الحسنة التي تخاطب القلب وترققه، كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: 57]. وتارة يستخدم أسلوب الحوار والمناقشة العقلية لإقامة الحجة وإقناع الخصم، كما في حوارات الأنبياء مع أقوامهم، كحوار إبراهيم عليه السلام مع قومه حول عبادة الكواكب والأصنام. وتارة أخرى يعتمد على أسلوب الترغيب والترهيب لإثارة دافعية النفس نحو الخير وتنفيرها من الشر، عبر تصوير مشاهد النعيم في الجنة والعذاب في النار. هذا التنوع يضمن وصول الرسالة التربوية لمختلف أنواع الشخصيات والمستويات العقلية، ويؤكد أن القرآن "كتاب تربية واعداد سماوي تنوعت فيه أساليب التربية" (26).

23 - جمعة، عبد الله محمد علي. (2021). من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم. مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، 20(4)، ص. 70.

24 - العلي، عدنان بن عبد الرزاق الحموي. (2018). الأساليب التربوية في القرآن الكريم. مجلة أكاديمية العلوم، ص.

25 - جمعة، من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم، ص. 70.

26 - عبد الحافظ، نهاد محمد عبد الحكيم. أساليب التربية في ضوء القرآن الكريم. ص. 2.

الإعجاز في أسلوب القصة: يُعد أسلوب القصة من أبرز وأقوى الأساليب التربوية التي وظفها القرآن الكريم. فالقصص القرآني ليس مجرد سرد تاريخي، بل هو "مليء بالتوحيد والتوجيهات الأخلاقية والأساليب التربوية"⁽²⁷⁾، ويهدف إلى غرس القيم وتقديم العبرة. ويتجلى إعجازه في طريقة عرضه للأحداث، وبناء الشخصيات، والحوارات التي تدور بينها، بحيث يعيش القارئ مع القصة ويتفاعل معها وجدانيًا. فالقصة القرآنية "وسيلة من وسائل غرس القيم الحميدة عند الفرد وداخل المجتمع"⁽²⁸⁾ لما فيها من عناصر الجذب والتشويق. كما أن "العمل الفني في حد ذاته وسيلة للوصول إلى الغرض الهادئ"⁽²⁹⁾، فالقرآن يقدم الدروس التربوية من خلال مشاهد حية وتطبيقية، كما في قصة موسى مع الخضر، التي تعتبر درسًا بليغًا في أدب المتعلم مع معلمه، والصبر على طلب العلم، وتوضح الدراسة التحليلية لقصص سورة الكهف أنها "مشاهد تعليمية تعتبر من الدروس التربوية التطبيقية"⁽³⁰⁾.

الإعجاز في ضرب الأمثال: يعتبر أسلوب ضرب الأمثال من أوسع الأساليب التربوية أثرًا في النفس، وذلك "أنه يقدم المثل المعنوي في صورة محسوسة فيربطه بالواقع ويقربه إلى الذهن"⁽³¹⁾. فالقرآن يستخدم الأمثال ليحول المفاهيم المجردة كالإيمان والكفر والنفاق إلى صور حية وملموسة يمكن للعقل أن يستوعبها والقلب أن يتأثر بها. ومن ذلك قوله تعالى في تصوير هشاشة الشرك: { مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [العنكبوت: 41]. إن هذه القدرة على تجسيد المعاني وتقريبها للأفهام بأسلوب بياني بليغ ومؤثر هو وجه من وجوه الإعجاز التربوي التي تفرد بها القرآن الكريم، وقد ذكر القرآن حكمة ذلك في قوله: { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } [العنكبوت: 43].

المطلب الثاني: إعجاز المنهج التربوي القرآني تشريعيًا

لا يقتصر إعجاز المنهج التربوي على أسلوبه البياني، بل يمتد إلى جوهر تشريعاته وأحكامه، فالطريقة التي يشرع بها القرآن الأحكام وينظم بها حياة الفرد والمجتمع تحمل في طياتها حكمة تربوية بالغة. ومن أبرز مظاهر هذا الإعجاز التشريعي: الإعجاز في التدرج في التشريع: من أعظم مظاهر الحكمة التربوية في التشريع القرآني هو اعتماده على مبدأ "التدرج". فالله تعالى، وهو الخالق العليم بطبيعة النفس البشرية وصعوبة تغييرها، لم ينزل أحكامه دفعة واحدة، بل "أوجب عليهم مرة

27 - المرجع السابق، ص. 71.

28 - النبراوي، محمد علي. (2007). عناصر المنهج التربوي في آيات السور المكية [أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية]. ص. 9.

29 - زغيشي، سعاد. (دراسة محكمة). سورة الكهف دراسة بنيوية من حيث الشكل. ص. 8.

30 - حسن، سهير كاظم. (دراسة تحليلية). القصة في سورة الكهف. ص. 6.

31 - الزمخشري، محمود بن عمر. (1987م). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، ج3، ص 449. حيث

يبرز في تفسيره لقوله تعالى { مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ... } كيف أن المثل ينقل حقيقة الشرك من كونها قضية عقدية مجردة إلى صورة حسية تامة الضعف والوهن. انظر جمعة، عبد الله محمد علي. (2021). "من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم". مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، 20(4)، ص. 71.

بعد مرة⁽³²⁾. فقد "راعى المنهج الرباني حالة الأفراد واملجتمعات من النواحي الاجتماعية والنفسية والاقتصادية"⁽³³⁾، ونزل بالأحكام شيئاً فشيئاً لتبئ النفوس لقبولها. وخير مثال على ذلك هو التدرج في تحريم الخمر، الذي مر بأربع مراحل، بدأت بالتنفير منه ثم التحريم الجزئي وصولاً إلى التحريم القاطع. هذا التدرج "فيه تسهيل ويكون الوصول إلى النتيجة عن طريقه أسهل"⁽³⁴⁾، وهو منهج تربوي حكيم يراعي واقع الإنسان وطاقته. وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "إن أول ما نزل من القرآن كان فيه ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً"⁽³⁵⁾، وهذا يؤكد أن التدرج في التشريع كان يهدف إلى "تهيئة النفوس لقبول أحكام الشريعة"⁽³⁶⁾.

الإعجاز في المنهج الوقائي (سد الذرائع): يتميز التشريع القرآني بأنه لا يقتصر على علاج المشكلات بعد وقوعها، بل يضع منظومة وقائية متكاملة تمنع وقوعها ابتداءً. وهذا ما يُعرف في الفقه بـ "سد الذرائع". فبدلاً من الاكتفاء بتحريم الزنا، حرم القرآن كل ما يؤدي إليه من مقدمات، فقال: { وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } [الإسراء: 32]. فكلمة "لا تقربوا" أبلغ وأشمل من "لا تزنا"، لأنها تمنع كل الوسائل والطرق المفضية إلى الفاحشة، وهذا "نبي واضح صريح عن الاقتراب من الفواحش"⁽³⁷⁾. وهذا المنهج الوقائي "يهدف إلى منع وقوع الأضرار، والأمراض، والفواحش، والمنكرات، والجرائم، وذلك من خلال سد الذرائع المؤدية إليها"⁽³⁸⁾. وهذا السبق في التشريع الوقائي، الذي يهدف إلى "صيانة وحفظ المجتمع الإسلامي"⁽³⁹⁾، هو وجه من وجوه الإعجاز التربوي الذي يهدف إلى بناء مجتمع طاهر ونظيف.

الإعجاز في التوازن والوسطية: يقوم التشريع القرآني على مبدأ التوازن الدقيق والوسطية، فلا إفراط ولا تفريط. فهو يوازن بين متطلبات الروح وحاجات الجسد، وبين حقوق الفرد وواجبات المجتمع، وبين الدنيا والآخرة. وقد وصف الله هذه الأمة بأنها "أمة وسط"، قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة: 143]. وهذه الوسطية "لا تعني وسطاً حسابياً أو معيارياً؛ إنما هي اعتدال وقِسط"⁽⁴⁰⁾. ويتجلى هذا التوازن في تشريعاته، فهو يدعو إلى العمل للآخرة دون نسيان نصيب الدنيا:

32 - المرجع السابق، ص. 71.

33 - المرجع السابق، ص. 71.

34 - قاسمي، مفتاح. (2022). الخصائص التربوية في القرآن الكريم من خلال تفسير ابن عاشور. مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 11(2)، ص. 14.

35 - قاسمي، الخصائص التربوية في القرآن الكريم، ص. 15.

36 - المرجع السابق، ص. 15.

37 - ثابت، عبد العظيم محمد. (2021). الدور التربوي للإعجاز الوقائي في الإسلام دراسة تحليلية. المجلة التربوية لتعليم الكبار، 3(4)، ص. 5.

38 - المرجع السابق، ص. 2.

39 - ثابت، الدور التربوي للإعجاز الوقائي في الإسلام، ص. 4.

40 - جمعة، من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم، ص. 70.

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص: 77]. كما ينهى عن الإسراف والبخل معًا، ويدعو إلى القوام بينهما. هذه القدرة على الموازنة بين كل متطلبات الحياة دون أن يطغى جانب على آخر هي إعجاز تشريعي وتربوي فريد.

المطلب الثالث: جمع المنهج التربوي القرآني بين النظرية والتطبيق

من أكبر التحديات التي تواجه النظم التربوية هي الفجوة بين المبادئ النظرية والسلوك العملي. وهنا يتجلى إعجاز المنهج القرآني في قدرته الفذة على ردم هذه الهوة، وتقديم منهج يجمع بين النظرية والتطبيق في وحدة متكاملة. الإعجاز في ربط الإيمان بالعمل الصالح: لا يقدم القرآن الإيمان كعقيدة نظرية مجردة تسكن في القلب، بل يقرنه دائمًا بالعمل الصالح الذي هو ترجمته العملية في واقع الحياة. فلا تكاد تذكر كلمة "الذين آمنوا" في القرآن إلا وتتبعها "وعملوا الصالحات". فالتربية القرآنية "لا تطلب من الفرد أن يتعلم العلم... فقط، ولكنها تطلب منه العمل بالعلم"⁽⁴¹⁾. وهذا الربط الوثيق يجعل من الإيمان قوة دافعة ومحركة للسلوك الإيجابي، ويحول المبادئ النظرية إلى ممارسة حياتية. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: 2-3]. فالمطلوب من الفرد المسلم أن يكون "صالحًا مُصْلِحًا، وراشدًا مرشدًا"⁽⁴²⁾، لا أن يكتفي بصلاح نفسه.

الإعجاز في تقديم القدوة العملية: لم يكتفِ المنهج القرآني بتقديم المواعظ والتوجيهات النظرية، بل قدم للبشرية النموذج العملي والتطبيقي الكامل لهذه التوجيهات، متمثلًا في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فهو عليه الصلاة والسلام تحقيقٌ لدعوة أبيه إبراهيم، وبشارة أخيه عيسى، كما جاء في الحديث الشريف: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمَنْجَدٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأَخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِي: دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ - حِينَ وَضَعْتَنِي - وَقَدْ خَرَجَ لَهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ»⁽⁴³⁾. فالنبي "في حياته كنسان يُوحى إليه من الله، يُمثل إنسانية هذه التربية"⁽⁴⁴⁾. وقد وصفه الله تعالى بأنه الأسوة الحسنة: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 21]. وعندما سُئِلَت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه، قالت: "كان خلقه القرآن". وهذا يعني أن كل مبادئ القرآن وقيمه لم تبقَ نظريات مجردة، بل تجسدت في سلوك بشري واقعي يمكن الاقتداء به ومحاكاته. إن تقديم القدوة العملية هو أقوى أساليب التربية وأكثرها تأثيرًا، وهو وجه من وجوه الإعجاز العملي للمنهج القرآني

41 - الغنيمي، محمد سلامة. (2014). مظاهر الإعجاز في التربية القرآنية. موقع طريق الإسلام.

42 - الغنيمي، مظاهر الإعجاز في التربية القرآنية.

43 - الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب من أسمائهم على الألف، ذكر البيان بأن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان مكتوبًا عند الله خاتم النبيين وآدم منجدل في طينته، رقم (6404)؛ وأحمد في مسنده، رقم (17163). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان. وهو حديث صحيح بشواهده. وانظر الاستشهاد بالحديث في: [مجموعة من المؤلفين]. (2005). من دلائل الإعجاز التربوي في القرآن الكريم. أرشيف ملتقى أهل التفسير

44 - [مجموعة من المؤلفين]. (2005). من دلائل الإعجاز التربوي في القرآن الكريم. أرشيف ملتقى أهل التفسير

سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن، 6(9)، 1-19

الإعجاز في ربط العبادة بالسلوك: من مظاهر الجمع بين النظرية والتطبيق في القرآن هو ربطه بين الشعائر التعبدية والأثر السلوكي والأخلاقي المترتب عليها. فالعبادة ليست طقوساً شكلية فارغة، بل هي عملية تربوية تهدف إلى تهذيب السلوك وتزكية النفس. فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: 45]، والزكاة تطهر النفس من الشح وتغرس فيها قيمة العطاء {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: 103]، والصيام يربي على التقوى وضبط النفس. هذا الترابط العضوي بين العبادة والسلوك يجعل من الممارسة التعبدية مدرسة أخلاقية مستمرة، ويضمن تحول المبادئ الإيمانية إلى واقع عملي ملموس في حياة الفرد والمجتمع.

المبحث الثالث:

مستوى المنهج التربوي القرآني بين الفرد والمجتمع. وفيه مطلبان:

لا يمكن فهم المنهج التربوي القرآني دون إدراك العلاقة العضوية والتكاملية بين مستوييه الأساسيين: مستوى الفرد، ومستوى المجتمع. فالقرآن الكريم، بمنهجه الشامل والمتوازن، لا يفصل بين صلاح الفرد وصلاح المجتمع، بل يعتبرهما وجهين لعملة واحدة؛ فصلاح الفرد هو اللبنة الأساسية لصلاح المجتمع، وصلاح المجتمع هو البيئة الحاضنة التي ترعى الفرد الصالح وتحفظه. وتتجلى عظمة هذا المنهج في قدرته على مخاطبة الفرد في وحدته ومسؤوليته الشخصية، وفي الوقت نفسه مخاطبة الأمة ككيان واحد متماسك له خصائصه وأهدافه. يستعرض هذا المبحث هذين المستويين المتكاملين من خلال المطلبين التاليين.

المطلب الأول: مستوى المنهج التربوي القرآني للفرد

يضع المنهج القرآني الفرد في محور عملية التربية، فهو مناط التكليف، وحامل الأمانة، والمسؤول الأول عن أعماله. وتهدف التربية القرآنية إلى بناء "الإنسان الصالح الذي يستخدم كل ما وهبه هلالاً سبحانه وتعالى من قدرات وإمكانات" (45). ويتجلى اهتمام القرآن بتربية الفرد من خلال عدة محاور أساسية:

بناء العقيدة الصحيحة وتزكية الروح: إن نقطة الانطلاق في تربية الفرد هي بناء عقيدة التوحيد الخالصة في قلبه. فالعقيدة "هي ركيزة هامة من ركائز هذا الدين، وجملة لسلوك البشري كله" (46). يغرس القرآن في نفس الفرد الشعور بمعية الله ومراقبته، ويربطه بخالقه ربطاً مباشراً، مما يولد لديه الرقابة الذاتية التي هي أقوى أنواع الرقابة. كما يهتم بتزكية نفسه

45 - العظامات، خديجة خير الله عبد الرحمن. (2022). *التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقاتها في الأسرة*

والمجتمع. ص. 4.

46 - جابر، تهاني. (2001). *منهج القرآن الكريم في التعبير الفردي*. عمان: دار الفتح للدراسات والنشر. ص. 9.

سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن، 6(9)، 1-19

وتطهيرها من أمراض القلوب كالحسد والكبر والرياء، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 9-10].
فهذه التزكية "تعني التخلي عن الرذائل والعادات السيئة، والتحلي بكل خلق فاضل" (47)، وهي جوهر التربية الفردية.

بناء الشخصية الأخلاقية: يولي المنهج القرآني أهمية قصوى لتربية الفرد على مكارم الأخلاق، فالأخلاق "ليست شيئاً ثانوياً في نطاق هذا الدين" (48)، بل هي ثمرة الإيمان ودليله. يحث القرآن الفرد على التحلي بالصدق، والأمانة، والصبر، والعفو، والإحسان، والوفاء بالعهد. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، وهو القدوة العملية لهذا المنهج، على خلق عظيم، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]. فالهدف هو بناء فرد "يقوم بدوره الإيجابي في بناء وتطوير مجتمعه الكبير" (49) من خلال سلوكه الأخلاقي القويم.

بناء العقل وتنمية الفكر: لا تقتصر التربية القرآنية على الجانب الروحي والأخلاقي، بل تهتم كذلك ببناء عقل الفرد وتنمية قدراته على التفكير والتدبر. فالقرآن "يأمر ويحض على التدبر والتفكير والتعقل" (50). وهو مليء بالآيات التي تحث على النظر في الكون، والتأمل في خلق السماوات والأرض، واستخدام العقل للوصول إلى الحقيقة، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 190]. فهو يربي فرداً لا يقبل الخرافة، ولا يتبع الظن، بل يبني قناعاته على الدليل والبرهان.

4. تحديد مسؤوليته الفردية: يؤكد القرآن مراراً وتكراراً على مبدأ المسؤولية الفردية، فكل إنسان مسؤول عن اختياراته وأعماله، ولا يُسأل أحد عن عمل غيره. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [المدرثر: 38]، وقال أيضاً: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [فاطر: 18]. هذا المبدأ يغرس في الفرد الشعور بالمسؤولية، ويجعله حريصاً على محاسبة نفسه قبل أن يُحاسب، وهو أساس بناء الضمير الحي لدى الفرد المسلم.

المطلب الثاني: مستوى المنهج التربوي القرآني للمجتمع

47 - جمعة، عبد الله امحمد علي. (2021). من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية،

20(4)، ص. 68.

48 - جابر، منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، ص. 9.

49 - العظامات، التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ص. 3.

50 - الغنيمي، محمد سلامة. (2014). مظاهر الإعجاز في التربية القرآنية. موقع طريق الإسلام.

سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن، 6(9)، 1-19.

إن صلاح الأفراد، الذي يهدف إليه المنهج القرآني، ليس غاية في حد ذاته فحسب، بل هو أيضًا وسيلة لبناء مجتمع صالح. "فالتربية عامل حاسم في عملية البناء والتنمية"⁽⁵¹⁾ للمجتمعات. يهدف القرآن إلى إقامة "مجتمع قوي متماسك"⁽⁵²⁾ يقوم على أسس وقيم ربانية. ويتجلى المنهج التربوي القرآني لبناء المجتمع من خلال ما يلي:

إرساء رابطة العقيدة كأساس للمجتمع: يقدم القرآن تصورًا فريدًا للمجتمع يقوم على رابطة العقيدة وليس على روابط الدم أو الأرض أو العرق. فالذي يوحد أبناء المجتمع المسلم هو إيمانهم بالله، وهو ما يعرف بمفهوم "الأمة". قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]. هذه الرابطة هي أقوى الروابط وأبقاها، وهي التي تصهر الأعراق والألوان المختلفة في كيان واحد متجانس.

ترسيخ قيم التكافل والتعاون: يربي القرآن المجتمع على قيم التكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى. قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: 2]. ويتجلى هذا التكافل في تشريعات كالزكاة والصدقات التي تضمن إعادة توزيع الثروة وتمنع تكديسها، وفي مبادئ أخلاقية كالأخوة الإيمانية التي تجعل المجتمع كالجسد الواحد. فهو "يحث على التفاعل البناء مع الحياة والمجتمع"⁽⁵³⁾، ولا يدعو إلى السلبية أو الانعزال.

إقامة العدل والشورى: يقوم بناء المجتمع الصالح في القرآن على ركيزتين أساسيتين: العدل والشورى. فالعدل هو أساس الملك، ويأمر القرآن بإقامته مع الجميع، حتى مع الأعداء: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} [المائدة: 8]. أما الشورى، فهي مبدأ أساسي في إدارة شؤون المجتمع واتخاذ القرارات الجماعية، قال تعالى واصفًا جماعة المؤمنين: {وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ} [الشورى: 38]. وهذان المبدآن يضمنان استقرار المجتمع ومنع الظلم والاستبداد.

بناء منظومة الرقابة المجتمعية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر): من أهم ما يميز المنهج التربوي القرآني للمجتمع هو إيجاده لآلية رقابة ذاتية تحفظ للمجتمع أخلاقه وقيمه، وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذه الفريضة ليست مسؤولية فردية فحسب، بل هي مسؤولية جماعية تقع على عاتق الأمة بأسرها. وبها تتحقق خيرية هذه الأمة، قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110]. فهي صمام الأمان الذي يحمي المجتمع من انتشار الفساد والانحراف، ويضمن بقاءه مجتمعًا فاضلاً.

51 - العظامات، التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ص. 21.

52 - المرجع السابق، ص. 15.

53 - ثابت، عبد العظيم محمد. (2021). الدور التربوي للإعجاز الوقائي في الإسلام دراسة تحليلية/المجلة التربوية

لتعليم الكبار، 3(4)، ص. 10.

خلاصة البحث

في ختام هذه الرحلة العلمية والتربوية في رحاب سورة الكهف، والتي سعت إلى استجلاء معالم "التربية القرآنية للفرد والمجتمع"، نصل إلى محطة نجني فيها ثمار هذا البحث. لقد انطلق البحث من إشكالية الحاجة إلى منهج تربوي قرآني أصيل ومتكامل، يمكنه أن يقدم حلولاً للتحديات التي تواجه الفرد المسلم والمجتمع المسلم في العصر الحاضر. وقد هدفت الدراسة إلى تجاوز مجرد استنباط القيم المتفرقة، والسعي نحو الكشف عن "منهج" تربوي متكامل له أصوله وخصائصه وأساليبه، متخذة من سورة الكهف، بوحدتها الموضوعية وقصصها المحورية، أنموذجاً تطبيقياً لهذا المنهج.

وقد أرسى البحث في فصله التمهيدي إطاراً مفاهيمياً واضحاً، حيث تم تأصيل مفهوم "التربية القرآنية" وبيان خصائصها الفريدة، وتحديد التصور القرآني لكل من "الفرد" ككيان مكرم ومسؤول ومستخلف، و"المجتمع" كأمة قائمة على رابطة العقيدة. ثم انتقل الفصل الأول إلى تحليل الخصائص العامة للمنهج التربوي في القرآن الكريم، مبرزاً كماله وربانيته وشموليته، ومؤكداً على أوجه إعجازه التربوي المتمثلة في بيانه وتشريعه وقدرته على الجمع بين النظرية والتطبيق، مع توضيح العلاقة التكاملية بين تربية الفرد وتربية المجتمع.

وعند الانتقال إلى التحليل التطبيقي في سورة الكهف، كشف البحث في فصله الثاني عن وجود منهج دقيق ومتدرج في تربية الفرد. فعلى الصعيد العقدي، تبين أن السورة ترسخ أركان الإيمان بالتوحيد والرسالة واليوم الآخر من خلال نماذج عملية (قصة أصحاب الكهف) وحوارات عقلية (قصة صاحب الجنتين). وعلى الصعيد التعبدي، أظهر البحث كيف تربي السورة الفرد على جوهر العبادة المتمثل في الإخلاص، وعلى أسلحتها المتمثلة في الدعاء والصبر، وعلى مفهومها الشامل المتمثل في عمارة الأرض. أما على الصعيد الخلقي، فقد استنبط البحث منظومة قيم متكاملة تشمل التواضع، وأهمية الصحة الصالحة، وأدب الحوار، والوفاء بالعهد، والعفة والعدل.

ولم تقف الدراسة عند حدود الفرد، بل خصصت فصلها الثالث لبيان الأثر التربوي لسورة الكهف في بناء المجتمع، وهو ما يمثل إحدى الإضافات النوعية لهذا البحث. فقد تبين أن قصة أصحاب الكهف تقدم منهجاً للأقلية المؤمنة في الحفاظ على هويتها ومواجهة طغيان السلطة. وأن قصة موسى والخضر تقدم دروساً مجتمعية في فقه الموازنات، وحماية المجتمع من بؤادر الفساد، والتكافل بين الأجيال. أما قصة ذي القرنين، فقد قدمت النموذج الأرقى للمجتمع الصالح الذي يقوده قائد رباني، ويقوم على أسس العدل، والأخذ بالأسباب، والمشاركة المجتمعية، وتسخير العلم لخدمة البشرية.

وفي الختام، يؤكد البحث أن سورة الكهف ليست مجرد مجموعة من القصص، بل هي وحدة تربوية متكاملة تقدم منهجاً شاملاً للعصمة من الفتن على المستويين الفردي والجماعي. وتخلص الدراسة إلى أن الحلول الحقيقية لتحدياتنا

المعاصرة، سواء كانت عقدية أو مادية أو علمية أو سياسية، تكمن في العودة الصادقة إلى هذا النبع الرباني الذي لا ينضب، واستلهم مناهجه التربوية في بناء الإنسان وعمران الأكوان.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع

- ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. (2003م). *شرح صحيح البخاري*. ط2، الرياض: مكتبة الرشد.
- ابن حبان، محمد بن حبان التميمي. (1993م). *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*. ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. (2001م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن حيان، أثير الدين الأندلسي. (1420هـ). *البحر المحيط في التفسير*. بيروت: دار الفكر.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي. (1422هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. (2009م). *سنن أبي داود*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بلي، ط1، دار الرسالة العالمية.
- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي. (2009م). *مسند البزار (البحر الزخار)*. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- البهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني. (2003م). *شعب الإيمان*. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض: مكتبة الرشد.
- ثابت، عبد العظيم محمد. (2021). "الدور التربوي للإعجاز الوقائي في الإسلام: دراسة تحليلية". *المجلة التربوية لتعليم الكبار*، 3(4)، 1-14.
- جمعة، عبد الله امحمد علي. (2021). "من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم". *مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية*، 20(4)، 66-73.
- حسن، سهير كاظم. (د.ت). "القصة في سورة الكهف: دراسة تحليلية". *دراسة محكمة*.

- دالي، صباح. (د.ت). *البنية اللغوية في سورة الكهف: دراسة لسانية تطبيقية*. أطروحة دكتوراه. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (د.ت). *الكبائر*. بيروت: دار الندوة الجديدة.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (1420هـ). *التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)*. ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الراشد، محمد أحمد. (1991). *الرفائق*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم.
- الزحيلي، وهبة. (2010م). *العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية*. ط1، دمشق: دار الفكر.
- زغيثي، سعاد. (د.ت). "سورة الكهف: دراسة بنيوية من حيث الشكل". *دراسة محكمة*.
- الزمخشري، محمود بن عمر. (1987م). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي.
- سمير، مي. (2022). "الإنسان وصفاته في التصور القرآني". *مجلة المجتمع*.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. (2019م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. ط5، الرياض: دار عطاءات العلم.
- الشريف، أميرة أحمد محمد. (2022). "القصص القرآني في سورة الكهف (قصة موسى والخضر أنموذجا)". *المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي*، 35، 35-73.
- صحبوس، عبد الحافظ. (2020). "قضايا تربوية وبيداغوجية في قصة موسى والخضر". *مركز نماء للبحوث والدراسات*.
- الطبري، محمد بن جرير. (2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الطليات، صباح بنت ناصر بن عبد الله. (د.ت). *منهج تربية الناشئة في القرآن الكريم ودوره في مواجهة الأخطار المعاصرة*. رسالة ماجستير.
- عارف، كامل عبد الله. (2006). *القصص القرآني في سورة الكهف وبناء الشخصية الإسلامية*. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الأردنية، عمان.
- عبد الحافظ، نهاد محمد عبد الحكيم. (د.ت). *أساليب التربية في ضوء القرآن الكريم*.
- سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن، 6(9)، 1-19

- عبد الرحمن، مروان محمد سعيد. (د.ت). *دراسة أسلوبية في سورة الكهف*. رسالة ماجستير.
- عبد السمیع، كرم محمد مصطفى. (2019). "نظرات تربوية في قصة ذي القرنين". *شبكة الألوكة*.
- عبد النبي، كمال حامد. (د.ت). *الهوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة*.
- العظامات، خديجة خير الله عبد الرحمن. (2022). "التربية في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقاتها في الأسرة والمجتمع". *المجلة العلمية بكلية الآداب*.
- العلي، عدنان بن عبد الرزاق الحموي. (2018). "الأساليب التربوية في القرآن الكريم". *مجلة أكاديمية العلوم*.
- العتار، حسني محمد. (2012). *قيم تربوية مستنبطة من قصص سورة الكهف*. المكتبة القرآنية.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. (د.ت). *إحياء علوم الدين*. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- فاضلي، ضياء أحمد. (2020). "أربعون فائدة تربوية تتعلق بأداب التعليم من خلال قصة موسى والخضر عليهما السلام في القرآن الكريم". *المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي*, 16، 533-512.
- الفوزان، بدرية بنت محمد عبد الله. (د.ت). *مسائل الإيمان في سورة الكهف*. رسالة ماجستير.
- القاسمي، محمد جمال الدين. (1418هـ). *محاسن التأويل*. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- قاسمي، مفتاح. (2022). "الخصائص التربوية في القرآن الكريم من خلال تفسير ابن عاشور". *مجلة علوم الإنسان والمجتمع*, 11(2)، 22-7.
- القهوجي، بشار. (2016). "المنهج القرآني في استخدام الأساليب التربوية". *مجلة العلوم الإسلامية والحضارة*, (3)، 21-10.
- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن. (د.ت). *الرسالة القشيرية*. تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة: دار المعارف.
- كنه، عثمان محمد عثمان الحاج. (2024). "الزمن القصصي في القرآن الكريم (سورة الكهف أنموذجا)". *المجلة العلمية بكلية الآداب*, 57، 919-885.
- لعيداني، ربيعة. (2024). "معالم العلاقة التربوية بين المعلم والمتعلم من خلال قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام". *مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع*, 8(2)، 279-267.

مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري. (د.ت). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مقلد، شعبان رمضان محمود. (2009). "من الآثار الإيمانية لتعليم وتعلم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع". شبكة الألوكة.

النجار، عبد المجيد عمر. (1999) فقه التحضر الإسلامي. ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

النبراوي، محمد علي. (2007) عناصر المنهج التربوي في آيات السور المكية. (أطروحة دكتوراه غير منشورة). الجامعة الأردنية، عمان.

الوظائف، عبد العزيز حسن. (2024). "حادثة أصحاب الكهف: دراسة في زمنهم ومدة اللبث، رؤية جديدة من منظور تاريخي". مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 19(2)، 549-597.